١- الأربعون شهيدًا

(من سبسطية)

٢- القديس بقطر الشهيد

مليكة حبيب يوسف

يوسف حبيب

١ – الأربعون شهيداً

(من شبان سبسطيه)

٢ – القديس بقطر الشهيد

Les Petits Bollandistes, مترجم من

Vies des Saints

Tome III d'après le P. Giry

مليكة حبيب يوسف يوسف حبيب

قداسة الانبا شنـــوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمـــة

بعد البحث والتنقيب فى بطون الكتب وسير القديسين وجدنا سيرة الاربعين شهيداً من سبسطيه ، تكرمهم الكنيسة القبطية وتذكرهم فى بجمع التسبحة .

وقمنا بترجمة السيرة عن الجزء الثالث من مجموعة

Les Petits Bollandistes.
Vies des Saints

الى العربية راجين من الرب يسوع أن يرى لنا طريق الفضيلة والكمال .

اما أسماء الاربعين شهيداً فكالآتى :

Quirion	كيريون	Sisinius	سيسنيوس
Candide	كنديد	Héraclius	هرقليوس
Domnus	دومنوس	Sévérianus	سفيريانوس
Méliton	ملتون	Valère	فالير
Domitien	دوميسيان	Chudion	شوديون
Eunoicus	اونوقوس	Sacerdon	ساسردون

برسقوس	Priscus
افتيخيوس	Eutychius
افتيخوس	Eutychès
زمرجد	Smaragde
الكسندر	Alexandre
حنا	Jean
كلوديوس	Claudius
اثناسيوس	Athanase
فالنس	Valens
هليانوس	Hélianus
اكديسيوس	Ecditius
اككتوس	Acactus
فيبانوس	Vibianus
هيلى	Hélie
تيودول	Théodule

كيرلس	Cyrille
فلافيوس	Flavius
فيلوتيمون	Philoctimon
اتيوس	Aétius
نقولا أو ميقالليوس	Nicolas ou Micallius
لستماك	Lystmaque
تيوفيلوس	Théophile
كسانته	Xanthée
انجياس	Angias
ليونس	Léonce
هيزيخيوس	Hysichius
كايوس	Caius
جورجونيوس	Gorgonius

وقد ورد بالسنكسار تحت اليوم الثالث عشر من برمهات انهم كانوا فى عهد ليكينيوس قيصر (ملك الشرق سنة ٣١٣م). وكانوا من الجنود الممتازين فى المملكة ، عرفوا بشجاعتهم وثباتهم فى الحروب وانتصاراتهم العديدة ضد أعداء الدولة . ولما اشهر ليكينيوس قيصر العداء ضد الملك قسطنطين الكبير، وجه كل همه الى اضطهاد المسيحيين لميل الملك قسطنطين اليهم ودفاعه عنهم... فأصدر أمراً بالزامهم بانكار ديانتهم والتضحية للأوثان . وقبض على هؤلاء القديسين . وعذبهم بمختلف أنواع العذاب ، ولما خاب أمله أمر أن يطرحوا فى بحيرة مجمدة باردة. فذهبوا اليها بكل شجاعة وخلعوا ملابسهم . ولاغرائهم أقام حماماً ساخناً ليلتجىء اليه من تخاذل منهم .

وشاهد أحد الحراس أربعين أكليلا تنزلت من السماء واستقرت على ٣٩ قديساً ماعدا واحداً منهم بقى إكليله معلقاً ولم يستقر على رأسه . فبينما كان الجندى الحارس مندهشاً من هذه الرؤيا ، رأى الجندى الذى لم يستقر عليه التاج وقد غلب من شدة البرد فخرج من مصاف الشهداء الى الماء الساخن.

فاغتم رفقاؤه لذلك كثيراً لانه بعد بلوغه ميناء السلام نكص على أعقابه فلم يتمتع بثمر خطيته ولا ساعة واحدة ، اذ انه حينما دخل الحمام أنحلت أعصابه بانحلال الجليد ومات لفوره . فلما شاهد الحارس ذلك صرخ بصوت عظيم قائلا أنا مسيحي ونزع ثيابه ونزل مع القديسين ونال أكليل الشهادة .

وذكر السنكسار أيضا إنه فى اليوم الثالث رأى اسقف سبسطية فى رؤيا من يقول له : « هلم الى النهر وخذ أجسادنا » . فقام وأخذ الكهنة ووجد الاجساد فحملها باحترام ووضعها فى مكان خاص . وشاع ذكرهم فى كل البلاد .

وورد فى السيرة انه لما وجد المؤمنون رفاتهم تتقاذفها الأمواج حملها والد القديسين باسيليوس واغريغوريوس وهما أصلا من سبسطيه الى أراضيهم حيث اقيم دير للرهبان كان رئيسه بطرس وقد صار اسقفاً لسبسطيه . ونذت أم القديسين باسيليوس واغريغوريوس كنيسته . كما بنيت كنائس أخرى . وتكرمهم مدن كثيرة فى أوربا أيضا واول كنيسة كرسها باسيليوس الكبير . بركة صلاة الجميع تكون معنا آمين .

يوسف حبيب

« من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (مت ١٠ : ٣٩)

+ + +

وصف « ميتافراست » Métaphraste شهادة هؤلاء الاربعين جندياً . ومن قبله صنف القديس اغريغوريوس من نيصص St. Grégoire de Nysse مقالين يمتدحهم فيهما . وكذلك كتب القديس باسيليوس يمدحهم مديحاً رائعاً .

وكان استشهادهم فى ٩ مارس سنة ٣٢٠ م. كان « ليكينيوس » الامبراطور الرومانى عديل قسطنطين من جهة قسطنسة زوجته ، من اقسى مضطهدى الكنيسة . واذ يشارك قسطنطين الامبراطورية ، أظهر فى البداية ضرباً من اللطف نحو المسيحيين حتى يكتسب رضاه . لكنه عندما قطع علاقته به ، رفع قناع التمويه ، ولعب دوراً ايجابيا هاماً فى المآسى الدموية .

كان ليكينيوس رجلا بخيلا قاسياً ، وبلغ من الجهل انه انه كان بالجهد يستطيع ان يكتب اسمه ؛ كان سريع الغضب فلا

هو يضبط نفسه فى حركات الغضب المتطرفة ، ولا هو يستمع الى النصح ، بل كان يعلن ان الذين دربوا نفوسهم فى الفضيلة والاعمال الصالحة هم أعداء الامبراطورية .

قام هذا الرجل العنيف فى كبادوكيه ، إحدى مقاطعات ارمنيا ، وكان معه جيش قوى . واصدر منشوراً يأمر فيه كل المسيحيين بترك ديانتهم وانكار الايمان بالمسيح يسوع ، وإلا يعرضون أنفسهم للقتل .

وكان « أجريقولا » Agricola حاكم كبادوكية وأرمنيا الصغرى ، ينفذ هذه الاوامر القاسية بمنتهى الشدة . كانت سيبسطية مقره ، فيها قيادة الجيش ، حيث توجد الفرقة (النارية) التى عرفت بالمطر الاعجازى الذى نالته من السماء فى أيام « مارك أوريل » Marc-Aurèle وكان ليسياس Lysias قائدها .

ورفض أربعون جنديا من هذه الفرقة ان يذبحوا للأوثان . وكانوا من بلاد مختلفة وكلهم من الشباب الأقوياء . الشجعان

الذين عرفوا بخدماتهم الممتازة . وعندما حضر « ليسياس » ودعا الجيش الى تنفيذ أوامر الامبراطور ، تقدم هؤلاء الشجعان نحو المحكمة واعترفوا بالمسيح الواحد بعد الآخر : « أنا مسيحى » .

ويقول القديس باسيليوس انهم كانوا مثل أبطال الرياضة الذين يتقدمون لقيد أسمائهم فى يوم الاحتفال فى قائمة اللاعبين ، ولكن مع الفارق ، فلم يكونوا يتعصبون لاسماء عائلاتهم فلا يقولون : أنا فلان أو فلان . انهم جميعاً أسرة واحدة ، أخوة الرب يسوع المسيح ويدعون بذات الاسم : « انا مسيحى » .

وحاول « اغريقولا » Agricola اكتسابهم أولا باللطف . فقال لهم أن لديه الدلائل على رفعة مقامهم وأنه يعرف الوحدة القائمة بينهم ، ويعرف الاعمال الجليلة التى أتوها أثناء الحرب ، ويعرف اتجاه الامبراطور فى الاعتراف بخدماتهم وسيتولى مكافأتهم بما يليق بعظمته . فلو رغبوا فى الاحتفاظ برضاء الامبراطور ، عليهم إطاعة ما جاء بمنشوره وإلا يفقدون العطايا التى يرجى نيلها وتقصر أعمارهم فيقضى عليهم وهم فى زهرة العمر .

فرد عليه القديسون قائلين : « اذا كنا قد حاربنا بهذه الشجاعة كما تقول ، من أجل امبراطور أرضي ، فاذا نظن اننا فاعلون الآن والمسألة مسألة خدمة إله السماء ؟ نيقن أننا سوف نتصرف كشجعان ولن نترك أبداً النصيب الصالح ، واننا سوف نفتصر ».

فهددهم اغريفولا من جديد وقال ان لم تخضعوا فسوف يحطمهم تحطيما ، ويحرمهم شرف حمل السلاح ، على أن يعطيهم مهلة للتفكير . ثم أرسلهم الى السجن . فصلى هؤلاء الجنود الكرماء قائلين :

« كما أخذنا منك يارب نعمة النجاة من المخاطر ، والنصر في المعارك التي خضناها من أجل الأمور الزائلة في ذلك الزمان ، هكذا الآن أيضا اذ ندخل في المعركة من أجل مجدك ، لا نرفض أن تهبنا المعونة التي نحتاج اليها . »

وقضوا الليل وهم يرتلون المزمور : « الساكن في عون العلي يستريح في ظل إله السماء » ، وفي تراتيل ومديح للرب .

وظهر لهم الرب يسوع المسيح وقال لهم : « لقد بدأتم ،

فحاولوا أن تكملوا حسناً ، استمروا حتى النهاية ، فان الاكليل لا يعطى الا للذين يثابرون »

وفي الصباح استدعاهم الحاكم أمام محكمته في حضور اصدقائهم من الجنود . وبعد أن امتدح اعمالهم الحسنة ورفعة مقامهم ، حثهم على النزول الى طلبه حتى يكون ذلك مدعاة لصنع الخير لهم فيختصهم ببعض الوظائف مع زيادة رواتبهم . ولما وجدهم لا يتزعزعون ولا يعبأون بوعوده أو بتهديداته ، أعادهم الى السجن . وكان أحدهم ويدعى « كيريون » Quirion يعظهم بهذه الكلمات :

« أيها الاخوة : لقد سر الله أن يجمعنا في شركة ايمان وجهاد واحدة ، فلا نفترق أبداً لا في حياتنا ولا في مماتنا . وكما خدمنا الامبراطور المائت ، معرضين انفسنا لآلاف الأخطار في معارك مختلفة ، فلنخدم الآن ملك السماء ونضحي بحياتنا من أجل محبته ، وسوف يكافئنا بالحياة الابدية التي لا يستطيع « ليسينيوس » أن يهبها لنا . كم من مرة في جهادنا ضد الأعداء طلبنا معونة الله وأعطاها لنا ؟ أتظنون إنه يرفض أن يعطينا

معونته فى هذه الحرب المجيدة ؟ لنلجأ الى الصلاة ولنتوسل الى السماء ، إن الله أمين ، انه سند المتألمين من أجل مجده . »

وبعد ستة أو سبعة أيام وصل القائد «ليسياس» واقتادوهم امامه ، وكان « كيريون » يقول لهم وهم فى الطريق :

« لنا ثلاثة أعداء . الشيطان ، والحاكم ، وقائد فرقتنا ، أو بالحرى ليس لنا سوى عدو واحد لايرى يتخذ خدمة الآخرين ليقاتلنا بها وهل يستطيع واحد فقط أن يغلب أربعين جنديا من جنود يسوع المسيح ؟ هذا مستحيل ، فلن يهزمنا الا اذا كنا جبناء . »

وأضاع قائدهم وقتاً كثيراً وتكلم كثيراً لكى يحملهم على ترك ايمانهم وتغيير عقيدتهم ، وكانوا ثابتين راسخين ، فأمر أن يكسروا اسنانهم بالحجارة . وشرع الجلادون فى التنفيذ . ولكن باذن من الله ، كانوا يجرحون أنفسهم بدلا من أن يصيبوا الشهداء ، حتى كان الدم ينزف من أفواههم ، بينما جنود المسيح يسوع باقون تغمرهم تعزيات السماء .

وعزا ليسياس هذه المعجزة الى السحر والشعوذة ، فأخذ حجراً ورماه بغيظ على أحد الشهداء ، ولكن هذا الحجر كانت تقوده يد أقوى منه ، فبدلا من أن يصيب الشهيد ، ضرب فم الحاكم فجرحه جرحاً خطيراً .

فاقتادوا الشهداء الكرماء من جديد الى السجن الى أن يخترعوا لهم عذاباً جديداً يعذبونهم به . فحول القديسون هذا المكان المفزع الى هيكل مجيد بصلواتهم المتواصلة ، وكانوا بالأخص يرتلون هذا المزمور : « اليك رفعت عينى ياساكن السماء . (مز ١٢٢)

ووسط صلواتهم ظهر لهم الرب يسوع المسيح وسمعوا صوته يقول : « من آمن بى ولو مات فسيحيا . ثقوا ولاتخافوا من العذابات التى تبقى قليلا ، جاهدوا بشجاعة لكى تكللوا . »

وقد تقووا جداً بظهور المخلص ، حتى انهم قضوا الليل كله فى الصلاة فى غيطة فائقة . وفى الغد اقتادوهم أمام الحاكم لكى يستمعوا اليه ينطق بالحكم باعدامهم . أمر هذا الحاكم بأن يطرحوهم عراة فى بحيرة قريبة من مدينة سبسطية ، حتى يموتوا بفعل الثلج

من شدة برودة الجو . وأعد بجانب هذه البحيرة حمام ماء ساخن حتى اذا أراد أحدهم أن ينكر المسيح مغلوباً من الثلج كان له ذلك . وكان فى تصرفه هذا اغراء كبير لهم ، فأمام أعينهم وتحت تصرفهم ما يرفع أتعابهم . وأخيراً وضعوا حراساً حول البحيرة ، طوال الليل ، خشية تأخير الفرار أو تعطيل تنفيذه .

وارتاح المعترفون الشجعان الى سماع الحكم بإعدامهم؛ ولما وصلوا عند شاطىء البحيرة ، وخلعوا ملابسهم بأنفسهم بسرعة، كانوا يشجعون بعضهم بعضاً قائلين : «لقد نزع العسكر الملابس عن الرب يسوع المسيح وألقوا قرعة عليها ، وتحمل هذا العذاب من أجل خطايانا ؛ فلنخلع الآن ملابستا من أجل محبته لينفر لنا خطايانا ، وكانت عقولهم وقلوبهم متجهة نحو الله وهم يقدمون انفسهم ضحايا لاتحترق فى النار بل تحمد وسط الثلوج . ولم يفتروا عن الصلاة الى الرب يسوع المسيح يسألونه أن يخرجوا جميعاً منتصرين من المعركة كما دخلوها وعددهم أربعون ، وألا ينقص أحد من هذا العدد المقدس .

ولكن احتمال الثلج بدا أمراً صعباً جداً لاحدهم ، فهزمه الألم ، وخرج من البحيرة الى إحدى هذه الغرفات المليئة بالماء الدافىء حتى يستدفىء فيها، فمات بعد قليل وترك التسعة والثلاثين الآخرين فى حيرة بالغة اذ فقدوا زميلهم البائس . ولكنهم كانوا مصممين يفضلون الموت الف مرة على أن ينكروا ايمانهم. وكانوا يحدثون بهذه المشاعر حتى كانت الساعة الثالثة من الليل، فأضاء بغته نور عظيم فى المكان ، فذاب الثلج ودفئت الماء ونزل الملائكة من السماء ومعهم تسعة وثلاثين أكليلا، فوضعوها على رؤوس التسعة والثلاثين معترفا بالمسيح الباقين فى البحيرة .

وكان أحد الحراس المنوط بهم حراسة الشهداء ساهراً يستدفىء بجانب الحمام. فرأى الاعجوبة . وعندما أحصى عدد الاكاليل لاحظ انها تسعة وثلاثون أكليلا وليست أربعين. فكان ذلك سبباً لفتح عينيه وأعتناق الايمان بيسوع المسيح . فعزم على أخذ مكان هذا الجندى ، فايقظ زملاءه بسرعة ، وخلع ملابسه ، وألقى بنفسه فى البحيرة بين الشهداء القديسين

صارخا أنا مسيحى . وهكذا استجاب الله صلاة القديسين التى طلبوا فيها أن يظل عددهم أربعين فى الجهاد وأربعين فى النصر.

لنتأمل فى أحكام الله العادلة التى تفوق العقل ، فهو يترك الذى سقط حتى يحذر كل واحد فلا يطمئن كثيراً لمجرد انه بدأ حسناً . فان كل ثقتنا يجب أن تكون فى صلاحه تعـــالى وفى رحمته الفائقة .

وفى الصباح اذ علم اغريقيولا بما حدث ، استشاط غيظاً ، فأمر باخراج الشهداء من البحيرة وكان منهم من تنيح ومنهم من كان لايزال يحتضر ، وهؤلاء كانوا يكسرون سيقانهم بالعصى فيموتون . وأثناء ذلك كان هؤلاء المعترفون يرنمون كلمات المزمور : « نجت نفسنا مثل العصفور الفخ انكسر ونحن نجونا. عونتا باسم الرب »

وحملوا أجسادهم على عربة لكى يلقوها فى النـــار ، ماعدا اصغرهم سناً ، « ميليتون » Méliton اذ كان لايزال حياً . فتركه الجلادون على أمل أنه ربما يغير عزمه . ولكن والدته كانت

حاضرة ، فأخذته بين ذراعيها ووضعته مع الآخرين فى العربة وهى تقول له :

« يا ابنى العزيز ثمرة بطنى كم أكون سعيدة لو ضحيت بالقليل الباقى من حياتك من أجل يسوع المسيح ! كم يكون مباركا حينئذ البطن الذى حملك تسعة أشهر والثديان اللذان رضعتهما ! تشجع يا قرة عينى ، وجاهد لتتمتع بالنور الابدى الذى يبدد ظلمات حزنى . إن الملاك الذى أحضر لك الاكليل السمائى ينتظرك لكى يدخلك الى المجد. انى بك التلج الى أبواب السماء ، وستدخلك النار إلى معية ربك. فتألم يا ابنى اللحظة الباقية لك ، لكى تفوز باكليل الشهادة ، وبذلك أكون اسعد كل الامهات وأكثرهن رضاً ، لانه كما أعطانى الله اياك بنعمته ، يحق لى أن اسلمك له من أجل محبته » .

كانت النعمة التى أوتيت هذه المرأة وشجاعتها ترفعها فوق الطبيعة ، فنطقت بهذه الكلمات دون أن تسكب العـــبرات ، واصطحبت العربة حتى مكان المحرقة بوجه ملىء بالسرور .

ولم يكتف اغريفولا بحرق أجساد هؤلاء الجنود الابطال، لكن خوفا من أن يكرمهم المسيحيون، ذر رمادهم فى الهواء، وألقى بعظامهم فى النهر. وهكذا كما يقول القديس باسيليوس فى مديحه لهم، بورك هؤلاء الشهداء الافذاذ على الأرض أولا، ثم فى الهواء، وبعد أن مروا فى النار، أغرقوهم فى الماء، حتى تشترك العناصر الاربعة فى مجد شهادتهم. ولكن الله حفظ عظامهم وسط الامواج؛ فلم تتكسر ولم تتفرق بل بقيت كاملة ووجدها المؤمنون.

ومنذ ذلك الحين وزعت هذه الرفات المقدسة فى كل مكان، وبنيت الكنائس العديدة تكريماً لهم. ويروى القديس أغريغوريوس من نيصص أن بعض بلدان العالم المسيحى كان لديه بعض هذه الرفات المقدسة.

حمل باسيليوس واميلى والدى القديس باسيليوس الكبير والقديس أغريغوريوس، وكانا أصلا من مدينة سبسطيه،

رفات الاربعين شهيداً الى إحدى أراضيهم القريبة من «ايريس»؛ وبنت «اميلى» كنيسة هناك تكريماً لهم، وعلى مسافة قريبة من هناك أقامت ديراً للراهبات، وكانت القديسة «ماكرينا» Macrine ابنتهما أول راهبة فيه، وكذلك ديراً للرهبان كان ابنهما بطرس رئيساً له بعدما صار اسقفاً لسبسطيه.

ودفن باسيليوس واميلى فى الكنيسة التى اقاماها باسم الاربعين شهيداً؛ وأخطارت ماكرينا أن تدفن فيها أيضاً. وصار تكريم هؤلاء الشهداء تقليداً فى هذه العائلة. فقد أعطى القديس باسيليوس من رفاتهم لاثنين من بنات أخوته اللتين كانتا رئيستين للراهبات فى مدية قيصرية.

وتوجد كنيسة على اسمائهم فى مدينة بريشيا Brescia فى ايطاليا. وتكرم مدن باريس Paris وليون Lyon ورامس Reims وبسورج Bourges وفينا Vienna ومدن كثيرة أخرى فى اوربا رفات القديسين.

وتحتفل الكنيسة القبطية فى ١٥ أمشير بتذكار تكريس

كنيسة الاربعين شهيداً التي كرسها القديس باسيليوس الكبير وهي أول كنيسة بنيت على اسمهم .

(السنكسار تحت يوم ١٥ أمشير)

ونقلت أجزاء من رفاتهم المقدسة الى القسطنطينية حيث بنيت كنيسة (٤٤٠ - ٤٥١م).